يومنا الوطني

الشيخ عادل الكلباني

■ حب الوطن فطري، وتعلق القلب بترابه لا يستطيع أحد دفعه، مهما حاول كبت مشاعره، أو حبس أحاسيسه.

تبذل في الدفاع عنه الأرواح والمهج ، ليحفظ أمنه ، وتسلم أرضه ، فالذود عن حياضه ، جهاد وفرض لا يحل التفريط فيه أبدا.

والتنكر له ، ومحاولة المساس بأمنه ، واستقلاله ، وكيانه ، خيانة يستحق فاعله ضرب الأعناق.

إن الأمن سياج الإيمان وبابه الذي يلج منه ، لذا كان الاستقرار في الوطن ، ولم شتاته ، ووحدة أراضيه ، من أهم الإنجازات والنعم التي يجب شكر الخالق الكريم عليها ، والفرح بها وإظهار السرور والرضى بها .

ولا يليق أن يمر يوم كذلك اليوم الذي زُف فيه إلينا الوطن - بعد تضحيات جسيمة - كأي يوم من أيام السنة ، ونعرض عن أهم نصر فيه وأبرز إنجاز ، ونحن نتمتع منذ بزوغه إلى يومنا هذا - وإلى قيام الأشهاد بإذن الله تعالى - بأمننا وأماننا الذي كفل لنا كل السبل لنحيى بديننا دون أن يحول الخوف بيننا وبينه كما هو الحال في كثير من البلدان العربية والإسلامية .

ومن شكر النعمة تذكرها والحفاظ عليها من النسيان ، وهذه عادة القرآن الكريم ، حتى لا ننسى الفضل وأهله ، ولا نتكاسل في الحفاظ على النعم فتضيع منا ، فنعض أصابع الندم ، فتسمع الرب العظيم يقول ○ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بينكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ■ ويقول ○ واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم ■ ويقول ○ واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات ■ .

ونحن بحاجة اليوم وفي ظل هذه الظروف الراهنة أن نساهم في تجديد الولاء للوطن وقيادته ، واقتناص كل مناسبة لذلك ، بدلا من رفع الأصوات التي تنذر وتحذر من الاحتفال بيوم النصر المجيد ، بحجة أن الإسلام حرم الاحتفال بأعياد العرب في جاهليتها وأبدلهم بها عيدي الفطر والأضحى.

وهذا الاستدلال لا يستقيم ، من وجوه كثيرة .

منها : أن اليوم الوطني ليس من أعياد الجاهلية ، التي أبطلها الإسلام ، فهو شيء جديد لا يستقيم تنزيل النص عليه ، ولا يوجد نص بصيغة عمومية يحرم كل عيد وفي أي مناسبة ، وهذا يوم لم يعرفه سوى مسلمين آمنوا بالله ودينه ورسوله ، فأين هو من أعياد الجاهلية ؟!!

ومنها : أن الحديث الذي يستدلون به لتحريم اليوم الوطني لا يفي لهم بذلك ، لأنه صلى الله عليه وسلم حين رأى الأنصار يحتفلون بأعيادهم قال : (إن الله قد أبدلكم خيرا منهما) وهذه الصيغة ليس فيها شيء من أساليب التحريم المعروفة عند العلماء في علم أصول الفقه ، فليس فيها نهي عن ذلك ، ولا تهديد ، ولا وعيد ، ولا تصريح بالتحريم ، ولا حتى تلميح .

بل من أمعن النظر في الحديث وجده أقرب دلالة إلى الحل منه إلى التحريم ، فهو يقول : إن الله قد أبدلكم خيرا منهما. وهذا يعني أن تلك الأعياد كان فيها خير ، وهذا هو مقتضى صيغة أفعل التفضيل . في الأصل . التي تدل على المشاركة وزيادة ، فقولك . مثلا . زيد أعلم من عمرو ، يقتضي أن عمرا أيضا لديه العلم ومشارك فيه مع زيد وإن كان زيد أعلم منه ، وهذا معروف مقرر في علم العربية.

ومنها : أن الاحتفال باليوم الوطني ، باق على أصل الإباحة ، ولا يجوز النقل عنها إلا بدليل واضح صحيح ، ولا يحل لنا أن نحكم على شيء بالتحريم ونلحق الحرج ونؤثم الناس بمجرد الظن ، أو بدليل لم تتضح دلالته.

ومنها : أن الأعياد التي يحرم الاحتفال بها هي الأعياد الخاصة بالكفار كما يعبر بذلك الفقهاء ، وهي التي اختص بها غير المسلمين لأسباب دينية ، كعيد الفصح ، وعيد السَّعانين ، وعيد النيروز. وعيد المهرجان، وغيرها من الأعياد التي هي شعائر دينية يتم الاحتفال بها من قِبَل غير المسلمين ، ولا شك أن هذا عمل خطير ، وكفر ، كما صرح به علماء الإسلام ، ولا فرق هنا ، بين من يحتفل بهذه الأعياد الدينية وبين من يدخل كنيسة أو بيعة ، فيصلي مع اليهود أو النصارى ، لأنها كلها شعائر دينهم.

وأما اليوم الوطني فليس هو من هذا أبدا ، ولا يتحرى فيها المشاركة لغير المسلمين في يوم يعظمونه ، وإنما هو يوم مستقل ، تقوم به الدولة ، بعيدا عن أي معتقدات دينية ، أو قصد للتشبه بالكفار ، أو تحر للاحتفال في أيام أعياد غير المسلمين.

وقد يعترض معترض بأن الاحتفال باليوم الوطني وغيرها من الأعياد ، فيه تشبه بالكفار، وعليه فلا يحل .

وليس الأمر كذلك ، والتشبه المحرم في ديننا هو التشبه بالمشركين في شيء من خصائص دينهم ، كما نص على ذلك الإمام الشافعي وغيره من الأئمة الفقهاء .

ولو كان التشبه بهم حراما مطلقا وفي كل شيء لحرمنا على أنفسنا اليوم كل شيء ، وانخلعنا من كل مظاهر المدنية ، فلنلحق بالصحراء ، نفترش التراب ، ونعيش في بيوت الشعر والجلود ، ولا يحل قيادة السيارة ولا استعمال هاتف ، ولا التبرد بمكيف ، ولا النوم على سررنا اليوم ، بل لا يجوز حتى ارتداء بعض المسلمين ملابسهم التي هي في الأصل من نسج وملبس المشركين وإنتاجهم.

وقد أشار إلى هذا الإمام الشافعي رحمه الله تعالى فقال: ما نهينا عن التشبه بهم في كل شيء فإنا نأكل كما يأكلون.

وقد لبس الرسول صلى الله عليه وسلم الجبة الرومية، وهي ليست من لباس العرب والمسلمين، واقتبس من الفرس، ونقل المسلمون كثيرا من مظاهر الحضارة من الشرق والغرب.

وقد رأى بعضهم على الإمام أبي يوسف القاضي صاحب أبي حنيفة نعلين مخصوفين بمسامير فقال له: أترى بهذا الحديد بأسا؟ قال: لا، فقال له السائل: إن سفيان الثوري وثور بن يزيد . وكانا من كبار العلماء . كرها ذلك، لأن فيه تشبها بالرهبان. فقال: كان رسول الله يلبس النعال التي لها شعر، وإنها من لباس الرهبان.

يقول بعض فقهاء الحنفية معلقا على هذا:

فقد أشار إلى أن صورة المشابهة فيما تعلق به صلاح العباد لا يضر فإن الأرض مما لا يمكن قطع المسافة البعيدة فيها إلا بهذا النوع.

أقول هذا، على فرض أن في الاحتفال باليوم الوطني تشبها بغير المسلمين، ويبدو لي نفي هذا تماما، فليس فيه شيء من التشبه، فإننا نحتفل فيه بعاداتنا وتقاليدنا وأدبياتنا، وأساليبنا العربية، وبلغتنا، ونزعاتنا المتأثرة بالدين الإسلامي العظيم.

ولا يستقيم المنع وتحريم الاحتفال به بحجة كونه بدعة، لأن البدعة المحرمة، هي البدعة في الدين والزيادة فيه، كما قال الله تعالى: (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله). وأما فيما يتعلق بالحياة ومناسباتها وعاداتها فيجوز فيه الإبداع والتجديد والاختراع، كما قال صلى الله عليه وسلم: أنتم أعلم بأمور دنياكم.

وقد عرف الإمام الشاطبي رحمه الله البدعة بقوله: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية.

وليس الاحتفال باليوم الوطني من هذا في شيء، فهو من العادات، وليس من العبادات والأصل في العادات الإباحة.

أقول هذا مؤملا أن يعاد النظر في حكم الاحتفال باليوم الوطني، والاحتفاء به، إذ لا يظهر فيه كونه بدعة ولا تشبها. والله تعالى أعلم.

اليوم الوطني يذكرنا ببطولات وإنجازات المؤسس

عميد متقاعد عبدالله بن محمد الفهيد

■ في التاسع عشر من شهر جمادي الأول سنة ١٣٥١هـ الموافق الثالث والعشرين من شهر سبتمبر ١٩٣٢م الموافق الأول من برج الميزان توج التاريخ صفحاته بتسجيل حدث أعلنه الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود طيب الله ثراه. توحيد أجزاء هذا الوطن الغالي وقيام دولة التوحيد المملكة العربية السعودية ليصبح الأول من الميزان الثالث والعشرين من سبتمبر من كل عام هو يوم الوطن للمملكة العربية السعودية تحتفي به البلاد لا تعطيل للعمل ولا إجازة وإنما بمواصلة العمل الدؤوب الذي يرفع مسيرة التنمية ويزيد من رصيد الإنجازات الحضارية والتنموية وذكر يوم التأسيس نذكر فيه بعض الجوانب العظيمة للنهضة الشاملة فبين التأسيس وبين التوحيد تاريخ مجيد مسيرة حضارية وتنموية ودور رائد للمملكة على المستوى العربي والإسلامي والعالمي وهذه النظرة المستقبلية التي كان يمتلكها البطل المؤسس الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود طيب الله ثراه ورؤية مستقبلية لمعنى التحضر. فكان عزمه لتوطين وإقامة الهجر وسبل اصلاح وبناء الإنسان وتأهيله. ونهضة بالعلم وكان افتتاح المدارس والمعاهد وابتعاث الطلاب للحصول على المعلومات المفيدة.

ولا تطور يتحقق إلاّ بأمن مستقر للبلاد وهذا من سياسة المؤسس وان ما قام به الملك عبدالعزيز إنجاز غير مسبوق يدفعنا ويحثنا لمزيد من البذل والعطاء وان نقوم نحن أيضاً بواجبنا تجاه وطننا من شأن مستقبل الأجيال القادمة من بعدنا. والواقع يشهد للتطبيق الأمثل للدولة العصرية التي تجمع بين تطبيق شريعة الله والأخذ بمستجدات العصر ومنذ ذلك التاريخ انطلقت مسيرة الخير والبناء في هذه الدولة المباركة بعد ان تم إرساء قواعد انطلاقها على أسس إسلامية راسخة من اتخاذ القرآن الكريم دستوراً للبلاد وتطبيق الإسلام عقيدة وشريعة.

وتوالت خطط التنمية وشهدت البلاد تطوراً هائلاً ونهضة شاملة على كافة المستويات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والتعليمية.

وقبل الختام لا ننسى أولئك الرجال العظام من الدعاء والغفران والرحمة.

الذين غيروا مجرى التاريخ وسطروا أروع الملاحم في حضارات الأمم والملك عبدالعزيز أحد أولئك الرجال الذين صنعوا الأوطان وغرسوا جذور العزة والكرامة على أرض المملكة العربية السعودية.

فهنيئاً للوطن بهذا المجد والفخر وهنيئاً لقياداتنا الرشيدة بأصدق الولاء والاعتزاز إلى مقام خادم الحرمين الشريفين وإلى ولي عهده الأمين وإلى سمو النائب الثاني والأسرة المالكة وهنيئاً للشعب السعودي بيومه الوطني الواحد والثمانين سائلين الله ان يتم علينا نعمة الأمن والأمان وان يتم علينا نعمة التكاتف والتلاحم والحب في وجه كل حاسد وحاقد وناكر للجميل.

حب الوطن من الإيمان

محمد بن إبراهيم فايع

■ لقد ضرب النبي محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم ،أروع الأمثلة في حب الوطن والحنين له، فعندما خرج من "مكة المكرمة" ، خاطبها بمشاعر فياضة بحبها ، وعيناه تذرفان الدمع قائلا : " والله يا مكة لأنت أحب البلاد إلى الله ، وأحب البلاد إلى قلبي ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت " .

من هذا القول النبوي نستنتج دليلا قاطعا ، كيف أن المرء حينما يرتبط بالأرض التي ولد فيها ونشأ بها، فهو يرتبط معها بعلاقة حب ووفاء ،تنشأ وتقوى مع مرور الأعوام ،حتى إنه ليعز عليه فراق الأرض التي ألفها، وعاش في ملاعبها طفولته ،وقضى في مرابعها شبابه،وشكل من ثراها حبا وعشقا أبديا يسكن جسده ،والمرء يسعد بحب وطنه ،ويصبح جزءا من مشاعره ،يملأ فكره في القرب والبعد . وكما قال محيي الدين الخطيب :

تحن الكرام لأوطانها
حنين الطيور لأوكارها

ونحن في هذا العام ١٤٣٢هـ نحتفل بيوم الوطن الـ (٨١) وكم هو جميل حينما يسمع الأبناء من آبائهم ،والطلاب من معلميهم ،القصة الكاملة التي تحكي كيف شيد هذا الكيان واتحد سكانه ، وتلاحمت أطرافه ،مع وسطه في وحدة واحدة لافرق بين من يسكن شرقيه أوغربيه ، ولاشماله عن جنوبه ولا عن وسطه ،فالجميع يعيشون بداخل وطن أحبوه ،ويشعرون بالانتماء إليه..

ولعل من أعظم ما يحس به المواطن السعودي أنه رزق بولاة أمر عملوا لوطنهم بإخلاص حتى بلغ في عقود بسيطة ،نهضة شملت جميع مناحي الحياة،منذ توحد على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ورجاله المخلصين ، وتحقق بفضل الله وتوفيقه الشيء الكثير، ومأأتنماه في هذا اليوم الوطني ونحن نعيش فرحته السنوية ،أن نعطي الأبناء فرصة أن يحتفلوا بيوم وطنهم وإن كانت مظاهر السيارات التي تجوب الشوارع ، ومنظر الشباب وهم يحملون الأعلام والصور ، والشعارات التي تتغنى بحب الوطن،من المظاهر المألوفة في كل عام ؛إلا أن الاحتفال قد يكون عن طريق استثمار طاقة الشباب،وحماسهم ،ودعوتهم إلى حضور مناسبات ،وندوات ،وحضور مهرجانات وحفلات ،وزيارة المتاحف التي يجب أن تفتح أبوابها المتاحف الحكومية والشخصية، التي تعكس تراث الوطن، وموروثه الشعبي ،ودعوتهم للمشاركة في المسابقات الشعرية والنثرية التي تعلنها المدارس لطلابها، ووسائل الإعلام لقرائها ،بما يجعلهم يتعلمون كيف يحيون مناسبة اليوم الوطني ،لا من خلال المظاهر التي قد تخرج عن حدود آداب المناسبة ،وتحول يوم فرحهم بحب الوطن إلى إزعاج وضيق لأبناء الوطن ،ولكن من خلال الفعاليات التي تقدم لهم دروسا عن تاريخ الوطن، وعن وضعه قبل توحيده وماعاناه سكانه وقبائله من تشرذم وفقر وجهل ،إلى وطن يفاخر أهله ،بما تحقق لوطنهم، من تقدم ونهضة عمرانية واقتصادية، ووحدة قبائله ،على يد قيادة حكيمة عملت خدمة للدين والوطن والمواطن ،منذ عهد المؤسس الملك عبدالعزيز - رحمه الله -مرورا بالملوك من أبنائه الملك سعود ،فيصل ، خالد ،فهد - عليهم رحمة الله - ،إلى عهد الخير والإصلاح عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، ليتعلموا كيف يحافظون على هذه المكتسبات لوطنهم ،وماتحقق له من أمن واستقرار اقتصادي واجتماعي، في زمن تعم الفوضى والاضطرابات بلداناً حولنا "ودام عزك ياوطن" .

يومنا الوطني.. العزة والكرامة

عبدالله بن صالح العقيل

■ في كل زمان ومكان تنتهي أمة وتسود أخرى، وتتنوع الولاية على الناس من عدل وظلم وخير وشر وصلاح وفساد، ثم يهيئ الله للأمم من ينهض بها ويخرجها مما هي فيه من الفقر والظلم والفساد والجهل إلى الغنى والعدل والصلاح والعلم..

والجزيرة العربية قبَض الله لها الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الذي بدأها بعهد جديد منذ فتح الله على يديه مدينة الرياض فأخرجها من عزلتها وحررها من قيود العابثين وحقد الحاقدين، لقد قام الملك عبدالعزيز بتوحيد أجزاء الجزيرة العربية ورسم على صفحة التاريخ أكبر وحدة وطنية تقوم على مبادئ الشريعة الإسلامية السمحة والإيمان العظيم والثقة الكبيرة بأبناء الشعب السعودي وعلى المعاني السامية فاستتب الأمن واجتمع الشمل وعاش الناس في رغد وارتاح الحجاج وزال الخوف وانتشر العلم واتضحت حنكة الملك عبدالعزيز في إدارة البلاد والأخذ بأسباب الحياة العصرية من تطور ونماء وعيش رغيد، فأحبه الناس وزالت الحواجز بينه وبينهم فصار أخاً لكبيرهم وأباً لصغيرهم يتحدث معهم ويقربهم إلى مجلسه ويعطف عليهم ويعطيهم ما يحتاجونه من مال ليسد عوزهم. وكان في حياته متمسكا بآداب الإسلام حريصا على الوفاء بأداء الأمانة التي يحملها تجاه شعبه وكان زاهدا قوي الإيمان قوي الإرادة شجاعا في الحرب ومحنكا وحكيما عادلا متواضعا كريم الخلق لديه بُعد نظر فيما يفكر فيه في السلم والحرب، قال رحمه الله (أنا أدعو لدين الإسلام ولنشره بين الأقوام وأنا داعية لعقيدة السلف الصالح وعقيدة السلف الصالح هي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم) كما قالت عنه إحدى الصحف الغربية (ابن سعود رجل ذو خلق قوي وإرادة نافذة استطاع بها أن يؤسس مملكته الواسعة التي لم يسبق لها أن عرفت السلام قط إلا أيام حكمه وهو يعتبر أعظم شخصية في العالم العربي اليوم) ويقول عنه موريس جورنو (إذا كان ابن سعود قد نجح في لم شعب الجزيرة العربية تحت لوائه وإذا كان قد جعل من بلد مضطرب آهل بالعصابات جعله البلد الأكثر أمناً في العالم فمرد ذلك ليس القوة والسيف فحسب بل لأنه سكب في أعماق الأمة الناشئة أقوى عواطف التماسك أي التقيد الشديد بأحكام القرآن) وأقول: علينا أن نستلهم العبر وأن نعتز ببلادنا ونفخر بها، وأن ندعو لمن كان السبب فيما نحن فيه من أمن وأمان وخيرات .

ثم جاء أبناؤه البررة فرفعوا الراية وحملوا شعلة الخير والنماء وجعلوا شعار الحكمة والموعظة والإخاء أساسا يسيرون عليه فظهرت في مملكتنا الغالية مشاعل النور وأنارت ما حولها وسارت بين الأمم المتحضرة تحمل الخير والعدل والرخاء معتمدة على الله فآتت ثمارها يانعة لهذا الوطن الغالي أمنا وأمانا وللأمة الإسلامية نصرة وعونا.

إن النهضة الحضارية التي تعيشها بلادنا جاءت بفضل الله ثم بفضل جهود القائد المؤسس الذي بناها على تقوى من الله وتابعها أبناؤه بكل ثقة، فها هي أحكام الشريعة السمحة يتم تطبيقها في بلادنا ومشاريع الخير والرخاء والتنمية والبناء مثل النهضة التعليمية والزراعية والمصانع والنقل والكهرباء والمياه والرعاية الصحية ومشروعات الخير في الحرمين الشريفين وغيرها كلها تحكي قصة نهضة حضارية عملاقة تسير بخطى ثابتة ترفدها أياد سعودية مخلصة تحافظ على وحدتها وسيادتها تحت لواء شريعة سمحة وفي ظل سياسة متينة تتجه نحو العالم المتحضر.

الوطن التزام وعهد

فهد بن محمد العبدالمنعم*

■ حينما يكون الحديثُ عن الوطن فإننا لا نستطيع وصف ذلك الشعور الذي ينتابنا عند كتابة كلمات أو نثر مشاعر، لكن أجد لزاماً علي المشاركة وأنا من بضاعته قليلة في الكتابة والصياغة، فأقول مستعيناً بالله بأنها تحل ذكرى اليوم الوطني لمملكتنا الحبيبة.. ففي يوم الخامس من شوال من عام ١٣١٩هـ الموافق ١٧ يناير ١٩٠٢م، يتذكر المواطن السعودي بكل فخر واعتزاز الحدث الذي تم فيه جمع الشمل ولم شتات هذا الوطن بعد توفيق الله، يوم توحد فيه هذا الكيان على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن - غفر الله له ..

تمر علينا هذه المناسبة ونحن نرى أحلام المؤسس تتحقق الواحدة تلوا الأخرى منطلقين من إيمان بالله راسخاً ثم بحنكة القادة الأنجاب وصولاً إلى قائد الأمة وباني نهضتها في هذه الحقبة من الزمن خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز الذي كان التمسك بالعروة الوثقى والالتزام بالجد والإصلاح والمثابرة هو سبيله تحدثت عن ذلك أفعاله قبل أقواله.. كما لا ننسى أن نشيد بما يبذله ولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز والنائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز من جهود عظيمة لرفعة هذا الوطن.

إن النفوس لتمتلئ فخراً واعتزازاً عندما نرى أن هذا الوطن وقد اجتمع على قلب رجل واحد يحدوه الأمل بتحقيق قدرها بأن تكون قبلة للمسلمين يشد إلى مسجدين فيها الرحال من شتى بقاع الدنيا، مع إيمان كل فرد فينا على أهمية الوحدة الوطنية من منطلق الوقوف على المعنى الحقيقي للانتماء الذي يعتبر مصدر قوة للوطن، ومصدر قوة للقيادة بعد إيمانها بالله وتوكلها عليه. أخي المواطن الكريم يجب علينا أن نترجم الحب لهذا الوطن إلى أفعال وأن لا ندخر جهداً في خدمته والحفاظ على دواعي وأسباب الأمن والاستقرار فيه وعدم السماح لأي عابث أو حاقد أو حاسد بالإخلال أو مصادرة ما تحقق من مكتسبات. قبل الختام فإنني أوجه دعوة لاستشراف ملامح الغد المشرق بمشيئة الله وما نتطلع إلى تحقيقه من الرقي والتقدم في جوانب الحياة والمحافظة على المقدرات الوطنية التي تحققت والسعي الدائم لكل ما من شأنه رفعة الوطن ورفاهية المواطن وتقديم اجتماع وتوحد الأمة على تحقيق مكتسبات وتطلعات فردية ضيقة خاصة في هذا الوقت الذي يشهد فيه العالم تقلبات سياسية واقتصادية. ختاماً فإنني ابتهل إلى الله أن يحفظ مملكتنا الغالية من كل مكروه، وأن يحفظ لنا قادة هذا الوطن ويجزيهم عنا خير الجزاء، وأن يديم علينا نعمه وفضله وسائر بلاد المسلمين آمين.

* وكيل جامعة شقراء المكلف

شكراً أبو متعب.. وعدت ووفيت

رجاء عبدالقادر

■ وافق أن تزامن افتتاح (الملتقى الأول للمثقفين السعوديين) الذي نظمته وزارة الثقافة والإعلام بقصر الملك فهد الثقافي مع اللقاء العلمي الشهري الأول لإدارة المجالس البلدية في نفس اليوم، بل في نفس الوقت تقريبا، ورغم أنه لم ترد تاء التأنيث في اسم الملتقى الثقافي ساكنة أو متحركة في ذلك الوقت! إلا أنه كانت هناك لجنة نسائية عريضة خلف الستار، وبالطبع تعددت العضوات بدءاً برئيسة اللجنة ثم بقية الموجودات من الصحفيات والأديبات وصاحبات القلم.. والمسؤولات المهتمات بالمشهد الثقافي شؤونه وشجونه، ورغم الستار الفاصل إلا أن هناك مشاركات مكتوبة وأحاديث متداولة في أروقة قصر الثقافة ذات رأي صائب وفكر جاد، لا يمكن على الإطلاق تهميشها أو تجاوزها.

وعلى سبيل المثال ربما كان الكتيب الخاص بالصحفية الكاتبة (السيدة إيمان القويفلي) الذي شاركت به في الملتقى يعد تعبيراً واضحاً وجلياً يخدم كل من يتطلع للثقافة النسائية كإحدى الواجهات الاجتماعية المرموقة.

بل تكاد تكون قد وضعت النقاط على الحروف لحركة الثقافة وكيفية تفعيلها بصفة عامة وحفظ مدخراتها وفي نفسٍ الوقت أعطت للقلم النسائي بريقا لامعاً يؤكد وجود تاء التأنيث في حروف الهجاء الثقافية وممرات التواصل والتخاطب الفكري والتفاعل الاجتماعي للمرأة.

وحين بدأ العرض الرسمي لمحاور الملتقى عبر الدائرة التلفزيونية المغلقة التي كانت مسجلة عناوينها في البرنامج، خرجت بعض المثقفات إلى فندق الانتركونتيننتال للاستفادة أيضاً من اللقاء العلمي الأول لإدارة المجالس البلدية الذي كان يعقد أول مرة بمدينة الرياض يوم السبت الحادي عشر من شهر شعبان لعام خمسة وعشرين وأربعمائة وألف للهجرة الموافق ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٤م الذي أتيحت فيه الفرصة لحضور النساء.

كانت زمرة أولئك المثقفات يملكن فضول المعرفة والعلم بالشيء وأنه خيرٌ من الجهل به، وهذا ما حدا بهن للذهاب من دون دعوة مسبقة للحضور، عند مدخل كان (قاعة بريدة) للمؤتمرات بالفندق كان تسجيل الأسماء، واسم الوظيفة، ورقم الهاتف كمعلومات أولية لمن حضرن!..

وفي القاعة انتشرت النساء ولم يكن عددهن كبيراً، كانت الشاشة تنقل تقديم الرجال لأوراقهم من قاعة الملك فيصل للمؤتمرات، فبدأت الورقة الأولى بعد الافتتاح للدكتور محمد بن عبدالله بن سعيد آل زلفة بعنوان (ملامح الدور المرتقب للمجالس البلدية) ثم تلتها الورقة الثانية بعنوان (الجوانب الإدارية لعمل المجالس البلدية) للدكتور فلاح بن فرج السبيعي والثالثة بعنوان (النواحي الشرعية والنظامية والإجرائية في انتخابات المجالس) للأستاذ عبدالعزيز بن محمد القاسم، وأخيراً مشاركة المرأة في الشأن العام) ألقتها الدكتورة فاطمة بن محمد البلوي مستعرضة تجربة مملكة البحرين في هذا الشأن! وقبل الختام بدأت المناقشات والمداخلات التي كان للرجال فيها نصيب الأسد بينما كانت مشاركات المرأة محدودة، ما حدا ببعضهن للاعتراض صراحة من خلال الميكروفون.

إحدى المثقفات كانت تنظر إلى الحاضرات بعين الثقافة والغبطة للنساء وهن يلحقن مركزين مهمين وفي نفس اليوم قد ينبئ عن مستقبل نير مبشر بالخير، وبمشاركة المرأة وتفاعلها مع مستجدات الحاضر والمستقل ممثلة نفسها ومجتمعها، وكانت مداخلتها تتضمن عدة محاور وجهتها للقاعة الأخرى وفي ذهنها أفكار وتساؤلات شتى: قالت إن مشاركة المرأة في الشأن العام فكرة رائعة بل ممتازة تؤكد حرص الدولة على (التجهيزية) المفترضة لدور المرأة بشكل أوسع في المجتمع باعتبارها نصفه الآخر المحرك للتنمية والتطوير ولم يدر بخلدها تلك اللحظة أنها قد تكون خارج الانتخابات والترشيح الذي انتشر إعلاناته في كل المراكز بكل مدينة من دون استثناء.

ولعل أسئلة واستفسارات تلك المثقفة وغيرها وإن فاتها قطار الترشيح والانتخاب الأول يعد حقا مشروعا لها كفرد من أفراد المجتمع الذي ضمها تعداده السكاني فهي مثلاً تتساءل عن مدى مشاركتها في عضوية إدارة المجالس البلدية، وهل العضوية شكلية أم تنفيذية، ما مدى استفادة المرأة وما مدى الاستفادة من المرأة خلال هذه المشاركة لو افترضناها مما ينعكس إيجاباً على المجتمع النسائي وحل مشاكله فيما يتعلق بالمرأة والأسرة والطفل بصفة عامة، وحين نقول (الشأن العام) فإنها عبارة واسعة جداً فما هو بالتحديد هذا الشأن العام الذي يمكن أن يتيح للمرأة الفرصة للاستنارة بخبرتها والاستناد لرأيها الصائب؟ وحين تمثل بعض المفاهيم ما نسميه بالقوة اللازمة للعمل (كالمال، والفكر، أو ملكة المثابرة، أو المنصب أو القيادة)، ما يتوفر لبعض النساء فهل ستتاح للمرأة أن تشارك في المجالس البلدية بما حباها الله بإحدى هذه الملكات كدافع لها ولغيرها للعمل من أجل المصلحة العامة للوطن العزيز!

ثم ما البحوث والدراسات التي يمكن أن تتقدم بها المرأة وفي أي مجال خدمة للمجتمع وأفراده من خلال هذه المجالس؟! ما اللجان المتفرعة عن إدارة المجالس البلدية والخاصة للترشيح والانتخاب ما يحقق الأهداف الإيجابية للمواطنة وتطورها الفعلي في مجال الشأن العام النسائي؟ ثم ما دور المرأة الفعلي في حضور جلسات إدارة المجالس البلدية (مستمعة، متفوهة، مشاركة)! وإن افترضنا وأعطيت المرأة حق التصويت في الانتخابات فما المعايير التي يقوم عليها هذا الانتخاب؟.

ما العلاقة المستقبلية لصوت المرأة في هذه المجالس وعضويتها المقترحة غير المتفرعة في مجالس الشورى والمتعلقة بالمجالات النسائية الهامة؟

بعد عدة مداخلات بعضها أجيب عنه (كالتجهيزية) من جانب النساء وبعضها لم يسعف الوقت للإجابة عنه اختتم اللقاء بعرض لائحة هذه المجالس، وظلت كثير من الأسئلة بحاجة للتفسير والعرض والفهم، وربما تكون الإجابات عنها خطوة بناء قد تساعد في إيجاد القناعات والاهتمام والمتابعة لدور هذه المجالس فيما يخدم جميع الأفراد من دون استثناء! بل ومشركتهم في تفعيلها بما يعود عليهم وعلى مجتمعهم بالخير الذي أتاحت فرصته دولتهم!

كانت علامات الاستفهام تلك وغيرها رهينة الوقت والزمن فقط!.. بديهية في مشاعر الوطنية أمام المرأة وشؤونها بحسب ما كان يتراءى من معطيات! ولكن لم تكن تخلو تلك العلامات والمعطيات من الثقة واليقين في برنامج الإصلاح الملكي وخططه التي وضعها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله حفظه الله من أحبه الصغار قبل الكبار رجالاً ونساء.. وشعروا في ظل قيادته بالأمن والأمان والرخاء وتغنوا باسمه وكلماته الصادقة ومنهجه الأمين.. فبادلهم محبة بمحبة! حتى إذا قال حفظه الله: عبارته الشهيرة (أنا بخير ما دمتم بخير) التقطها الأسماع والاصقاع.. فحفرت تلك المعاني في القلوب قبل العقول بكل عفوية الصدق الأمينة!

اليوم هو الخامس والعشرين من سبتمبر ٢٠١١م تتبلور أمامنا مشاعر الوطنية وتتجسد في حقائق تطبيق المواطنة على أرض الواقع من خلال قرارات الملك الفارس الشهم النبيل... التي استبدلت التساؤلات بالإجابات الجزلة الواضحة الناصعة للعالم والتاريخ.. وأن المرأة اليوم ومن قبل هي محور اهتمام الوالد القائد خادم الحرمين حفظه الله وتشكل جزءاً هاماً من منظومة خطط برنامجه الإصلاحي وبالتالي فهي عضو وطني مشارك وفعال ومؤثر لتحقيق أهداف التنمية المستدامة في وطننا الغالي..

وهذا اعتراف شخصي ومسؤول من الأب القائد الملك عبدالله حفظه الله بدور المرأة وتقدير أهميتها ورسالتها التي تؤديها خدمة لدينها ومليكها ووطنها.. وبالتأكيد لم تأت هذه القرارات الملكية بمحض الصدفة وإنما هي نتاج الزرع الأخضر النامي لبرنامج الإصلاح الاستراتيجي الذي نحصده اليوم ولله الحمد نحن وأبناؤنا والأجيال اللاحقة بإذن الله..

وحين تزامنت قرارات خادم الحرمين حفظه الله بمشاركة المرأة في مجلس الشورى ومشاركتها في ترشيح نفسها للانتخابات البلدية مع اليوم الوطني للبلاد كان الوقع أروع وأجمل.. وأمر عمق مفاهيم الولاء والانتماء والحب والثقة في قيادتنا الرشيدة، مؤكداً مسيرة المؤسس الموحد جلالة الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه ونهجه القويم الذي سار علي أبناؤه الملكوم ومن بعده بخطى راسخة أمينة،..

وما تحظى به المرأة اليوم في هذا العهد الزاهر لخادم الحرمين الملك عبدالله حفظه الله من نيل الحقوق والاعتراف بواجبها ودورها وأهمية مشاركتها في نمو المجتمع وتطويره تحت راية خضراء بالتوحيد والأمن والرخاء هو واقع حي تشهده شتى المجالات التنموية بل جميعها.. مما يحفظ لوطننا مزيداً من مكتسباته وثرواته الاقتصادية والعلمية والاجتماعية وفي مقدمتها الثروات البشرية!..

صدقاً لا أملك إلا أن أقول بكل فخر واعتزاز: شكراً أبو متعب وعدت ووفيت، وعلينا أن نكون بقدر هذه المسؤولية وبقدر هذه القرارات الطيبة الحكيمة إن شاء الله.

فيا خادم الحرمين أنت وموطني
عز الزمان ونوره بل أنور
ناداك مجد لا عدمت نداءه
حر تجاب له المطايا تفخر
أبو الرعية والنساء وليهم
هل في النساء بدونكم مستأثر
في عهدكم غيد الحسان تألقت
جاهاً وعلماً والسنابل تنشر
كانوا دواماً للمحافل غرة
صاروا حقولاً للزهور وأعطر
منظومة هامت بفكري شجونها
هن النسيب ولحنه والقيثر
شمس تغيب ولا يغيب ضياؤها
كم في السماء كواكب لا تنكر
نعم المليك وغيثه مسترسل
ديم على خضر الروابي ممطر
يا فارساً وابن الفوارس جلهم
إن المديح عن الوفاء مقصر